(٢٣)

الدين

هدى وعلم وحياة وبناء
للفرد والبيت والجمع
في البشرية الخالدة والإنسانية الأزلية
محله الذات فالوطن فالأرض فالكون

حديث الجمعة

١٦ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ - ١٠ مايو ١٩٦٣ م

أعوذ بالله، روح قيامي، ورجاء سلامي.

وأستعين بالله قائما على نفسي، لعين قيامي، ولذات حسي.

وأستغفر الله من غفلاتي، ومن زلاتي، ومن جهلي بمحوي عني إلى وحدانية قيامه، وإلى شمول سلامه.

جاءنا منا، وتكلم لنا عنا، بلغة الكلام عنه، والفضل منه، ليُعلِمَنا، ويُعلّمنا، ويقيمنا، ويقومنا، لا إله إلا الله، والله أكبر، في المعروف لنا بمعارفنا، وواجب الوجود لوجودنا بوجودنا.

هدانا إلى دين الفطرة في معنانا، وعرَّفنا وكشف لنا أن الفطرة قائمة في قيام مبنانا.

خاطبنا، وألهمنا، وقادنا، وعلمنا، أن العقل أصل الدين في الفطرة.

فعرفنا الفطرة دينا ومتدينا، وعرفنا العقل رسولا ومرسلا، وعرفنا الحق ربا وعبدا...

يوم تتجمع العقول ليتواجد بها النفس الشامل، والعقل الكامل...

ويوم تتجمع أطوار الفطرة في ذوات الفطرة، من أبناء السماء والأرض، وأبناء السماء وأبناء الأرض، فيتواجد في تجمعهم وتناسقهم وحدانية للفطرة، تقودها وحدانية للعقل.

إن قيام الوحدانية لوحدة الفطرة لا يعطل الحرية الكاملة لمفردات الفطرة، تهتز وتترنم لتنمو وتتزايد، تتكثر لتتناثر في انفلاقها، وتنمو لتتكاثر بمفرداتها لوحداتها، وتتوحد في ائتلافها، فتكبر في وحدتها، وتتعدد في صفاتها.

يقودها العقل في جميع ألوانه وبجميع معارجه وأطواره، تتابعه في تناسق بين ألوانه ومعارجه، تتقبل مفرداتها لمستويات معارجه، وينمو في معراج الفطرة وأطوارها، ما تواجد في جلبابه. بذلك كانت البشرية وهي الإنسانية الصغرى مظهرا للإنسانية الكبرى، وبذلك كان التناسق بين مفردات العقل، في مستوياته، ومفردات الفطرة في أطوارها، وهو ما يتكشف للمتأمل في وحدانية العقل في معناه لهذه البشرية وهي دانية للفطرة في ذواتها، في وحدتها بذاتها في معناها. وبذلك كان إدراك اجتماع العقل على جلباب فطرته، وتقبل الفطرة بظاهرها لغيبها، يقوم بها، تنفعل به ويفعل بها، هو غاية العالم الباحث عن علل حوادث الحياة بظاهرها، وكان في ذلك الدين، والعلم، والسياسة، ما استقام الساسة، وما صدق العلماء، وما ظهرت الطريق، وما اتبع الحق، وما رغب الناس في الله وقد خلقهم لنفسه، وهو لهم فيهم الراغب.

ولكن الناس نسوا أمرهم، يقولون بأفواههم نشدانا له، ما ليس في قلوبهم إيمانا به، فتنحرف بهم الطريق، وتلتوي بهم المسالك، ويختفي من أمام نواظرهم مستقيم المعارج، فيبحثون عن الحق خارج أنفسهم، وبعيدا عن وجودهم، وبعيدا عن قيامهم، واهمين أنهم بذلك لله منزهين، وله موحدين، وبوصفه له مفرِدين، وبعيدا عن قيامه، هم المخلوقين.

لا يرونه في فطرة، ولا في استقامة دين، ومؤسس الدين يقول لهم الإسلام دين الفطرة، والعقل أصل ديني، والله قائم على كل نفس وأقرب إليها من حبل الوريد. فالفطرة هي القيام والكائن المسلم. إن الشمس مسلمة، وإن القمر مسلم، وإن الأرض مسلمة، أمة طيعة، لربها خاضعة، ولأطفالها راعية مرضعة، معها يتحدث ولها ينادي وإليها يوحي. ولن يكون الإنسان مسلما لله إلا إذا كانت علاقته بالله كعلاقة قلبه بذاته. يقوم فيه الله قيام هذه السيارات فيه. لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا.

إن الفطرة، وما فيها، إن الوجود وما فيه، إن العوالم وما فيها، إن البشرية بجماعها ومفرداتها، قيام فطري، مسلم لله، قائم بالله القائم على كل نفس من مفرداته، والآخذة به كل نفس من فطرتها ما

كسبت بحق فطرتها، وبحق قيامه عليها ترد إليها أعمالها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، عليها ما اكتسبت اعتداءً على حقوق غيرها، ولها ما كسبت إنتاجا وإثمارا من طبيعي قيامها. ذاتها في مطلقها ذات الروح لها من روح اللانهائي بذاته وروحه.

العقل رسول حقها إليها، وقائدها إليه، وما الحق إلا كمال فطرتها واستنارة عقلها. وما الحق إلا استكمال دورتها وكمال معراجها في ذاتها، وفى معناها من الشهادة والغيب لها. الشهادة قيامها بفطرتها، والغيب معقول عقلها لقيامها عن روح الحياة لها.

فالإنسان البشرى إذا لم يبدأ وعيه وفعله وأنانيته وصلاته بمعاني صلته بحقه بدءًا من قيامه، فلا قيام ولا وجود له، ولا كسب للفطرة بمعناها تعبيرا بأناه لغيبه في قدمه بأزلي نوعه في قديمه، بقيام غيبه في قادمه، لأبدى نوعه من قائمه بعين كمال قديمه يوم يقوم بالحقيقة فيعقلها، وما يعقل إلا نفسه وفطرته، ولا يحيط بشيء من العلم عن الحقيقة إلا بما شاءت حقيقته أن تُشهده في قائمه، قائما منها وقائما بها، بإنارة عقله، وإشعال جذوة الحياة في نفسه، وإشراق النور، وإشعال النار في كوة ومشكاة ظلامه، من ذات قيامه في صدره.

إن الإنسان لربه لكنود، إذا ما أخذته نسائم الاتصال في لمحة من صفاء، صادفت فيضا من عطاء، فتكشف له الأمر من ثقب من الغطاء، استكبر واستعلى وظنه الرب الأعلى. فوهم أنه للناس ربا يوم قدَّر أنه لله ذكرا ووجها. ولم يقدر أن الناس ما صدقوا الله طلبا كانوا لله وجها، وأن الإنسان من الإنس والجان ممكن من التخلص من جلبابه من الطين والنار إلى جلباب من النور ما نارت الطريق أمامه، واتخذ من الرسول إمامه، يوم يعرف الرسول معنى في قائم جنسه لكل طبقة، ولكل عصر، ولكل حق، وفي كل أمة، وفى كل جمع،{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[1]، ويؤمنون بالله، وأن الدين بُني على اعتقاد الناس وجها لرب الناس عند الفرد والجماعة في قيام المعاملة مع الله، ربا للمتعامل والمتَعامل معه قصدت مرضاته عندهما فيما تعاملا فيه.

إن الذات وغيوبها من القديم والقادم إنما هي بأنانيتها لمعناها في معراج دائم، ما بدأت الحياة وأشعلت مصباح الحياة لمعراجها إلى الروح الأعظم. فالروح الأعظم في روح الحياة اللانهائي كشفا عن قديمها لحاضرها من الذات والروح والمعنى. تواجدت في جلبابها من الفطرة ثم انطلقت في جلابيبها من النور بمعانيها من العقل بتكرار ذواتها إلى روح جمعها، ثم هي في معراجها في قادمها من قيام ذاتها، إلى الأقدس لعين ذاتها في قادم، ترجوه لمعناها بتجديد أناها، بعثا بالحق، وإشراقا به، على صورة به أظهر، وفي قيام به أكبر، هي في هذا تنشد ما تسميه الذات الأقدس، والذات الأقدس، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات. فالذات في القيام ذات مقدس، ومرجوها لذاتها إنما هو طلب لمعناها في معنى

الذات الأقدس، وفى تحررها من المادة روحا منطلقة تنشد الروح الأعظم، فطلب الروح الأعظم لروحك في روح الحياة الأعظم اللانهائي والذات الأقدس لذاتك في ذات الوجود المطلق اللانهائي إنما هو ما تتواصى به مع أخيك في الطريق المستقيم، لينشده نشدانك، وليطلبه عنوانه وعنوانك، فإن توحدتما عليه طلبا هديتم إليه سبيلا ومسلكا. وإن هذا الذي تنشدانه والذي تعنونانه، يعنونه في الوجود معنون لا يغيب ولا ينقطع مع كل تواجد تواجده بوجود، حققه لنفسه في الوجود محقق أكبر بنفس أكبر في قِدَم لا بدء له، وفى قيام منفعل لا يتوقف انفعاله وفعله إلى معراج وإلى كمال لا يتناهى، وسيبقى ذلك دائما وأبدا يظهر لطالبه ما طلبه، ويحققه لنفسه من سار على الدرب، وكل آت قريب، ومن سار على الدرب وصل، وقد جعل التواصي بالصبر قرين التواصي بالحق أساسا للتحقق، ومفارقة وصف الخلق، وبلوغ معنى الحق مع خبير به، على بصيرة من أمره.

يضطرب مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بمضطرب، ويستهدي مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بضال، ويضل مجتمع البشرية وما هو في الحقيقة بمهتدي، ويتفرق مجتمع البشرية وما هو في الحق بمتفرق، ويتجمع مجتمع البشرية وما هو في الحق بمُجتمع. إنه على ما هو هو مجتمع البشرية في صمدية الفطرة، وفى دائرة كفاية العقل، لا يقع في ملك الحق القائم به إلا ما يريد، ولا تختل موازين الحق على ما أقامها بالخلق، ولكن الرسالة والهدى والدين جاء لمفردات الناس في مجتمعهم ولتجمعاتهم وحدات في إنسانيتهم، ولعموم مجتمع البشرية كقيام منفرد في مجتمع من نوعه في مفردات على مثاله، كشفا لها عن معناها في قيامها بالله حتى تحمد نعمته، باستقامتها لها تتجنب مسالك الهلاك من فعلها لمفرداتها وتجمعاتها، وقد منَّ عليها روح الحياة لها بالحياة منه قيوما عليها بنوعها، وبجنسها، وبغيبها لوحدتها، جمعها في ألوهيتها حقا منه وفى ظاهر وحدانيتها عبدا له، وشتتها في أسمائه وصفاته قياما به واستوى بمحصلة وحدتها، في أحديتها، على عرش فطرتها، قياما واحدا، لا تعدد فيه ولا اختلاج له من أرضها إلى عرشها بسمواتها.

وقف على أرضها بأقدامه إنسان الوجود وإنسان الحياة، عمم بالشمس هامة رجاله لكريم وجهه دلالة عليه، وخفف على الأرض وطأته إنسان الله وإنسان الحياة وإنسان الفطرة. لا يستقيم أمر الفرد في البشرية كفرد مسئول عن ذاته يوم تكون له روح وذات، ومسئول عن بيته يوم يكون له بيت ولبيته أهل، ومسئول عن جمعه يوم يكون له جمع ويكون جمعه أمة، ومسئول عن سلطانه يوم يكون له سلطان بعزة الله للمؤمنين، ومسئول عن ضعفه يوم يكون له ضعف وافتقار إلى ربه، لا يستقيم أمره ما لم يجمع بين ظاهره وغيبه، وما ظاهره إلا الفطرة عبدا، وما غيبه إلا العقل ربا، وما

الحق له يوم يعرفه إلا يوم يستوي العقل بربوبيته على نفسه بفطرته، فيدخل عاصمة عالمه وملكه من بيت قلبه وديوان حكمه غازيا مستويا على عرشه في عالم ذاته.

إن الفطرة في الإنسان لذاته لأناه إذا لم تحكم عبدا من القلب ديوانا وسلطانا لحساب العقل ربا ونورا فلا حياة للإنسان، ولا بعث له، ولا ذاتا أقدس له، ولا روحا أعظم له، ولا معنىً للحياة به، فلا كائن له ولا كينونة، فقد اختار الهلاك والعدم بشيئيته لشيئه، {كل من عليها فان}[٢]، وقد رضي لنفسه حاضره بوصفه من الهلاك والعدم فحقق له قانون الحياة ما اختار لنفسه. ويبقى من اختار البقاء بذكر الله هو في معيته، ولنور الله في عقله، متجها لقبلة الله في قلبه، ولعرش الله في قيامه، ولكرسي الله في قدرته وفعله، فشهد أنه لا إله إلا الله يوم تابع من كان كذلك، ومن بعثه الله بذلك، فكان له ما له، فقام نفسه على ما قامه، فكان بصيرته وحكمته وسلامه، وكان كتابه وبعثه وقيامه، يقوم ويتقلب في الساجدين. فما أعطي الكوثر إلا لخير الناس، رحمة من رب الناس ورب العالمين، فشهد أن محمدا رسول الله، يوم عرفه محمدا رسول الله.

محمد رسول الله والذين معه بهم يتكاثر، وبه يفنون عن أنفسهم مخاصمة لله إلى قيامه ونفسه نفسا مصالحة لله، فتحيا معانيهم بأناه، قائمة في رحب معناه أمة الله، وعباد الله، وحضرة الله، وأسماء الله، وحقائق الله، ووجوه الله، وعالم الرشاد لحضرة الحياة.

من رآه رآه حقا، يوم كان به في الحق حقا. ما رآه من رآه خلقا وهو في مفروض قيامه على ساحل الحياة، لم يخض بحرها، ولم يبلغ جزيرتها، ولم يضع بعد قدمه على أرضها؟ وكيف يعرف الحياة من لم يذق الحياة؟ وكيف يعرف الله من لم يصدق الله، ومن لم يؤمن بالله، ومن لم يُسلم لرسول الله، فيشهد به أنه الله، ليرى الله؟ وكيف يرى الله من ليس هو الله؟ تأمل قول القائل: أنا إن رأيت حبيبي فبأي عين أراه، بعينه لا بعيني أراه فما يراه سواه. وتأمل في قوله تعالى {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}[٣] ...

يقولون لا إله إلا الله، بأفواههم ولا محل لها في قلوبهم، ولا قيام لها في عقولهم، ولا حياة لها في ضمائرهم، ولا صفاء بها أو لها في نفوسهم وأعمالهم. فكيف يكسب الحياة من أنكر على الحياة وهو قائم في الحياة؟ {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٤]. فكيف ينكر الأحياء على الحياة وتبقى لهم الحياة، والحي القيوم في غناء عنهم غني عن العالمين، غني بنفسه، غني بحقه، غني بتكاثره، غني بتعدده، غني بوحدانيته في كل قيام، وفى كل تعدد وبكل وجه؟ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.

فما باعد الناس بينهم وبين الناس، وهو جماع عقولهم، وهو جماع قلوبهم، وهو جماع ضمائرهم، وهو جماع ذواتهم، وهو وحدة قيامهم في حاضرهم وشهودهم، وهو معنى غيوبهم لقائمهم، وهو قديمهم لموجودهم، وقادمهم لقائمهم، ما باعد الناس بينهم وبين الله في تباعدهم عن التئام وحدتهم، باعدوا بينهم وبين أن ينتظم لهم أمر في أنفسهم، أفرادا أو جماعات، أو ينتظم لهم أمر في تحقيق عدل أو حرية أو سلام. ها أنتم هنا لا يغيب عليكم هذا الأمر وأنتم في بيت من بيوت الله، وساحة من ساحات الله. تأملوا فهو ظاهر لنواظركم، فهل تأملتم؟ إن البشرية اليوم بجماعها تحن إلى السلام، وتريد أن تخفف من حدة الخصام، وهى تشعر بخطر الحرب على ما كشفت لنفسها من أسرار الفطرة، ومكنة تسخيرها لإرادتها بعقولها من نور الله، وهي اليوم مشفقة على الأرض وعلى جنسها من نزعة فعلها، وتخشى غضبة لا تملك زمامها، واندفاعة تفلت من ضوابط العقل في قيادها، وهي ترجو بكل جوارحها وهي صادقة أن تصل إلى نزع لهذا السلاح الخطير من الأرض، ولكنها لا تستطيع أن تصل في هذا إلى غايتها، ولِمَ؟ لأنها لا تذكر الله في رغبتها حتى تستطيع أن تتحقق لها. إنها تريد أن تحقق هذه الغاية، وهذا الهدف، بيدها وبسلطانها وبمكنتها، وهي تراها عاجزة عنه، ولا تدرك علة عجزها. وليس لعجزها علة إلا لأنها أغفلت أن العقل في نورانيته، وأن العقل في انطلاقته، وأن العقل في حريته، وأن العقل في سلطانه، ما خضعت له خضعت لله، ما أدركته أدركت الله، ما آمنته آمنت بالله، ما استمدته أمدها الله، ما استنارته أنار الطريق أمامها الله، ولكنها تريد أن تخضعه لنزوات النفوس لساستها. فريق يقول إنه يؤمن بالإنسان وينكر على الإنسان أنه ذكر لله، وهو ما يذكر بالإنسان إلا جلبابه من التراب. ليته يؤمن بالإنسان، وما الإنسان إلا عين الرحمن. من آمن بالإنسان حق الإيمان قديما أزليا، وباقيا أبديا، وجديدا سرمديا، ظاهرا لباطن وباطنا لظاهر، آمن بالرحمن وعرفه حق العرفان، ومن آمن بالرحمن للإنسان حق الإيمان عرفه عين الإنسان، وعرف الإنسان له عين العنوان، وعرفه روح الكيان لذات الكيان، بروح الإنسان لذات الإنسان. وفريق يقول بالله وأبوة الله وهم غارقون في المادة بعيدون عن الله وعن روح الله وعن كلمات الله. وآخرون يقولون بالرحمن وعبودية الإنسان وهم لا يؤمنون بالإنسان عبدا ولا ربا ولا عنوانا لرحيم أو رحمان لأنهم لا يؤمنون بالرحمن حق الإيمان. فمثلهم مثل الذين يقولون بالإنسان ولا يعرفون الإنسان عين الرحمن، لأنهم لا يؤمنون بالإنسان حق الإيمان حتى يتكشف لهم فيه الرحمن.

إن البشرية في قيامها في هذا العصر، قائمة على ما قامت فيه في كل عصر مظلم من ليالي قيامها، قليل منها لله الشكور، والله لجماعها الغفور، لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

إن إرهاصا لبارقة من النور الإلهي في طريقها إلى الأرض، تنشق الأرض عن أوانيها لاستقبالها، أمر بدت بوادره، وتدرك معالمه لمدرك إذ يتكشف بريقها لناظر. إن الأرض مقبلة على إشراقة لشمس الله، وكم أشرق عليها الله بنوره. إن الأرض، تتهيأ لزيارة من الله في قانون فعله، وفى دائم وقائم سنته، {أولم يروا أنَّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[٥]، استوى إلى الأرض فظهر في ثياب أهلها، فقدر فيها أقواتها في يومين برسالتين، {ثم استوى إلى السماء}[٦] فظهر في ثياب أهلها، فأوحى في كل سماء أمرها فسواهن سبع سماوات في أربعة أيام من أيام الله برسالاته، {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع}[٧]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[٨]، (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[٩]. إن داركم بالنسبة لكم أمر دائم قائم لا بدء له ولا انتهاء، ولكن الله له في دهركم أيام، هي إشراقات أيامه بنفحات قيامه بذكر محدث لقديم، يرسل رسله امتداد يده، ليبايع الناس على أنفسهم مرتضية نفوس الرسل عندهم لمنشود مثاليتهم، والله معطيهم ما أعطى رسله ما ارتضوهم لأنفسهم قياما لهم. فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فذروا الانشغال بدنياكم واسعوا إلى ذكر الله. إذا ظهر وجه الله رسولا من أنفسكم، مشرقا باسم الله، قائما بذكر الله، داعيا إلى بيت الله من أنفسكم، فاتحا لكم أبواب البيت فيكم، كاشفا لكم غطاء المادة عنكم لتروا معانيكم من الروح من الروح الأعظم لروح الحياة، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة مهداة، ولا تصدوا أنفسكم عن حوض الله وعن طريق الله. وهنا يقول الرسول (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)[١٠]، وقد امتد قيام الرسول بعترته متجددة مع تجدد الخلق قرونا. وها هي السماء ترجعه أمة من المرشدين. وها هي الأرض تتهيأ لتنشق عنه أمة من المصلحين. ونحن نخشى أن تستحق على الناس ضريبة الدم إذا بقوا في لجاجتهم للسماء مخاصمين فتبطش بهم بطشة كبرى تعم فتشمل الظالمين وغير الظالمين، تجابه كل جاحد، وتقهر كل معاند. لقد كان للناس من قبلها أن يكونوا لله وجوها على ما هي وجوهه بالصالحين منهم، ولكن إذا ظهرت آياته لا خفاء ولا حجاب، لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا. {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[١١]، {يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون}[١٢] .

لقد انتهى الأمر وانقضى الليل وأشرق الفجر، فالناس بين مُكرم بالله، ومنظر من الله لجولة أخرى لوجه لله. إن السماء بأحداثها، وإن الأرض بأحداثها ترهص لهذه الساعة من ساعات الله ولهذا اليوم، يُشفق منه المؤمنون به دائم قيام يوم يطلبون الله في سلام، فيجيبهم لما طلبوا في سلام، فيدركون وطأة السلام على خصوم السلام، فيشفقون من أمر الله لأنهم يعلمون أن أمر الله قائم، وأن الله في قيامه على الناس دائم، وإنما هي دورات الزمان في دهر الإنسان بأيام العنوان، نفحات من

الخالق لخلقه، وفيوضات من الخالق لخلقه بعباده، وقيام للخالق في صور من خلقه بعباد الرحمن، وقد برز الناس لله جميعا الواحد القهار في قيامة عارمة لا شريك له، رب الشيطان ورب الرحمن ورب كل شيء، باطن كل شيء والظاهر بكل شيء. لا شريك له من شيء. في إرادته الشيطان قبل الرحمن. {أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا}[١٣].

إذا لم يكن الدين في حياة الإنسان في نفسه، وفي حياة الإنسان في بيته، وفي حياة الإنسان في جمعه، وفي حياة الإنسان في وطنه وفي أمته، وفي حياة الإنسان في أرضه وإنسانيته، فلِمَ يكون عقيدة؟ ولَمَ يسمَ دين؟ وفيمَ الحرص عليه والعصبية له؟ وما أسس الدين بين الناس إلا ليكون في خيرهم، في قيامهم، وفي قادمهم، وفي قديمهم، يكفرون بحاضرهم عن سوءات قديمهم، ويبعثون في قادمهم بصفاء حاضرهم، وبمنظورهم ومدركهم من مثالية يرتضونها لأنفسهم. الدين هو سعادة المتدين في نفسه، وفي عقله، وفي ذاته وحسه أولا، ثم فيمن يحب ثانيا، ثم في انتصاره على ما يكره لنفسه، وما يكره فيمن يحب أو يكره ثالثا، ثم في انتشاره بما عرف وقبل لنفسه في كل ما يحيط به، وفي كل ما يعلم وما لا يعلم رسولا ممن يعلم ومن يعلم أنه فيمن يعلم ويعلِّم.

فهل عرفنا الدين فسعدنا بالدين؟ هل عرفنا الدين فخرجنا من الشقاء في قيامنا بلا دين؟ إن القيام في الله مسعد لا شقاء فيه، وإن الدخول في الدين مسعد لا بلاء فيه، ولكن الدين كشف البلاء لمن لا دين له، وحذر الابتلاء فيمن قام في الغفلة عن ربه وعن دينه، وبشر بالجزاء لمن أحسن فوجد ما عمل حاضرا، وحذر لمن حرم نفسه العطاء، يوم يُظهره على كتابه، على ما هو مما لا يرضى.

إن الذي حمله التبليغ إليك تبشيرا أو تحذيرا بأنه يكون، إنما هو كائن، وقد كان في قديم، المرة قبل المرة في أزل، وسيكون المرة بعد المرة في أبد، وهو قائم في حاضر على ما كان وعلى ما سيكون. إنك في حاضرك دخلت هذه الدنيا برضاك، وعلى محصلة ما فعلت من قديم في قديم وأقدم، وما دخلتها إلا زاعما أنك قادر على أن تحقق لنفسك في قيامك هذا ما فاتك في قديمك بأقدم يوم علمت نفسك ما قدمت وأخرت، فأنت آت إلى هذا القيام من سابقة قيام، وهو تطهير لك، ومغفرة له عن سابق فعل لك، فتواصى اليوم بالحق واصبر لأمر ربك، فإن كنت آت لإيصال خير للناس بناءً على طلبك، فلا تشكو من هذه الحياة على قسوتها، لأن هذا نظامها، وأنفق مما جعل الله لك، {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}[١٤]، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٥]، { وبالحق أنزلناه وبالحق نزل }[١٦] نعم، هي رغبة منك يحققها لك القانون. ها أنت تبعث بين قومك وفي جلباب نفس من أنفسهم، على مثال ما تخلصت منه، ولكنك رغبت في العودة إليهم، ونحن لا نعيب عليك الرغبة في العودة، ولا نعيب عليك الإحساس بالمشقة، فقد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ذكر إن

نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى. {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}[١٧]، {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[١٨] {لتبين لهم}[١٩] {لا يمسه إلا المطهرون}[٢٠] {ثم إنَّ علينا بيانه}[٢١] {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}[٢٢] لتؤسس سنة الله فيهم، (أُمة مذنبة ورب غفور)[٢٣]، (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون [قدري])[٢٤]. هكذا قال المغفور الغافر، فقال له ربه {اصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢٥]، فاجمع بهم جمعك، وأصلح بهم أمرك، واصبر حتى تحقق لهم معناك بما هو معناك على ما تعلم ولا يعلمون، حتى يعلموا أنك الحق من ربهم، وأنك الأكبر لهم في قيامهم ما أكبروك، وأنك وجه الله إليهم ما تابعوك، وأنك الحق من الإطلاق عليهم ما تحققوك، فإذا انتظم جمع ملائكة إنسان حقك، واتحد فيك ملؤك إيمانا بك من إيمان بربك، فابطش البطشة الكبرى، {طأها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى}[٢٦]، أغطش ليلهم وأخرج ضحاهم، واجمعهم في معناك نياما، وابعثهم بك فيك بمعناك لمعناك قياما. فيومئذ يجيبون الداعي منك لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢٧] {ما قدروا الله حق قدره}[٢٨] {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة}[٢٩] وأنت للناس يده على دوام {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}[٣٠] {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}[٣١] {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٣٢] {الأرض يرثها عبادي الصالحون}[٣٣].

يا أيها الناس، (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسبي وسببي وصهري)[٣٤]. (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)[٣٥]، لا أكثركم صلاة وصياما أو سجودا وقياما، ولكن أكثركم سلما وسلاما، (من رآني فقد رآني حقا)[٣٦]، { وقل جاء الحق وزهق الباطل }[٣٧]، (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)[٣٨]، { وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}[٣٩] لك بينهم، وعسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، فتنشق الأرض عن سيدها يوم تنشق الأرض عنك جديدا لك، وبعثا لقديم منك دابة تمشي عليها، تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون، في أمة من المؤمنين الصالحين المصلحين العارفين، جندا مظفرا لله ورسوله رب العالمين. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت بمحمد رحمة مدانية منك، وجعلت به لنا وجها وطلعة لك، جددتها بلا انقطاع، وكثرتها بلا امتناع، ونشرتها في كل الأرض والبقاع، بحكمة تُسمع، وببلاغة تروى، وبهدي مستقيم به ينتفع. اللهم به فألحقنا، وبنوره فاهدنا، وحوضه أوردنا، وماء الحياة من سمائه أمطرنا، وبركبه في ملكوت السموات ومعارجها والأراضين ومهادها وخواتيمها بكلماتك فألحقنا، ومعه إذا رجع إلى هذه

الأرض وغيرها فأرجعنا، وجنودا له ملحقين بركبه فألحقنا، ووجوه طلعته للناس فشرفنا، ولِ به أمورنا خيارنا رحمة بنا، ولا تولِ به مخاصما منا أمورنا شرارنا، عدلا منك، وعافنا واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، روادا ومرودين، حكاما ومحكومين، قادة ومتابعين. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، في مرضاته مرضاة لك، وفي وسيلته شفاعة عندك، وفي وصلته طريقا إليك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(إنكم ترون الآن ما فعله اتصالكم بقوة الروح هذه السنين القلائل في تقويم جماعة قليلة من الناس. هذا يمكن مضاعفته ملايين المرات في ربوع عالمكم. إن المعرفة تطرد الجهل والعميان الذين فقدوا في الظلام يمكنهم أن يفتحوا عيونهم ويتحققوا من الخطة التي تقف وراء الكون كله).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ١٠٤
٢ سورة الرحمن - ٢٦
٣ سورة الأنعام - ١٠٣
٤ سورة البقرة - ٢٥٥
٥ سورة الرعد - ٤١
٦ سورة فصلت - ١١
٧ سورة الجمعة - ٩
٨ سورة الأنعام - ١٥٨
٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
١٠ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.
١١ سورة طه - ١٠٨
١٢ سورة المعارج- ٤٣
١٣ سورة مريم - ٨٣
١٤ سورة يس - ٢٦-٢٧
١٥ سورة الأنبياء - ١٠٧

١٦ سورة الإسراء - ١٠٥

١٧ سورة القصص - ٨٥

١٨ سورة الإسراء- ١٠٦

١٩ سورة النحل - ٦٤

٢٠ سورة الواقعة - ٧٩

٢١ سورة القيامة - ١٩

٢٢ سورة القيامة - ١٨

٢٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٢٤ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم.

٢٥ سورة النحل – ١٢٧، ١٢٨

٢٦ سورة طه - ١-٣

٢٧ سورة مريم - ٩٣

٢٨ سورة الحج - ٧٤

٢٩ سورة الزمر - ٦٧

٣٠ سورة الفتح - ١٠

٣١ سورة الأنفال - ١٧

٣٢ سورة الإسراء - ٧٩

٣٣ سورة الأنبياء - ١٠٥

٣٤ حديث شريف: "كلُّ نسَبٍ وصِهرٍ ينقطع يومَ القيامةِ إلا نسَبي وصِهْري". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).

٣٥ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

٣٦ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٧ سورة الإسراء - ٨١

٣٨ حديث شريف: "ألا أَخْبِرُكُمْ بالمؤمنينَ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويَدِه، والمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في طَاعَةِ اللهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هجرَ الخَطَايا والذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان

٣٩ سورة الإسراء - ١٠٦